التحركات العسكرية في غزوة احد

د. خالد هاشم محمد سرحان العبدلي
الفلوجة /معهد اعداد المعلمين

ملخص البحث

قال – سبحانه –: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}(١).

لقد وصفت هذه الآيات المعركة وصفاً دقيقاً، وسلطت الضوء على خفايا النفوس، ودخائل القلوب، وكان فيها تربية للأمة في كل زمان ومكان، ودروساً تتوارثها الأجيال تلو الأجيال.فهذه الغزوة العظيمة تعد نموذجاً حياً لما يمر به المسلمون اليوم من محن وشدائد، فما أحرانا أن نقف عندها، ونستفيد من دروسها وعبرها، وما أحوج الأمة وهي تمر بهذه المرحلة الحرجة في تاريخها، أن تراجع نفسها، وتستعيد ذاكرتها، وتعي سيرة نبيها – ﷺ–. فأحدٌ نصرٌ لا هزيمة، معركة فياضةٌ بالعبر والعظات، أحداثها صفحات ناصعة، يتوارثها الأجيال بعد الأجيال.وسأتناول الموضوع من خلال مرتكزين الاول التسمية والموقع والسبب : ثانيا : تحركات النبي ﷺ العسكرية في هذه الغزوة.

(١) سورة آل عمران ، الاية ١٧٩.

Abstract

What happened in Auhed battle is a great lesson to the propagandists and so for teaching them that love of life may sneak into believers, hearts without feeling of it . this leads them to prefer the present life and its happiness to the hereafter and its requirements which they need to win the paradise as well as they disobey the clear commands of the religion as the javelin throwers disobeyed the clear commands of the prophet "Allah blessings and peace be upon him " carelessly all these things happen by the believer when he is inattentive and looks for the present life; therefore the propagandists should research constantly in their hearts to uproot love of the present life from their hearts in order not to be a barrier between them and sharia rules and to avoid falling in sins justifying that in a way serves their desires with sticking to the present life. The participation of the prophet in fighting the unbelievers like other Muslims is an evidence that the prophet did not want to be prominent or famous but he wanted to be modest and considered himself like anyone of Muslims . His participation in the fighting is also an evidence of his bravery and patience for the sake of his mission (Da'wa) and the martyrdom is the highest grade and there is no way to get this grade except taking into consideration the reasons that lead to this grade.

المقدمة

الحمد لله الذي تفرد بالجلال والعظمة، والعز والكبرياء والجمال، وأشكره شكر عبد معترف بالتقصير عن شكر بعض ما أوليه من الإنعام والأفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

في الخامس عشر من السنة الثالثة من الهجرة وقعت غزوة أحد بين المسلمين الموحدين ومشركي قريش.وأنزل الله على إثرها آيات تتلى إلى يوم الدين، فنزلت ثمان وخمسون آية من سورة آل عمران، تتحدث عن هذه الغزوة، ابتدأت بذكر أول مرحلة من مراحل الإعداد للمعركة في قوله – تعالى –: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(١) ، وانتهت بالتعليق الجامع على نتائج المعركة، والحكم التي أرادها الله منها فقال – سبحانه –: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ }(٢).

لقد وصفت هذه الآيات المعركة وصفاً دقيقاً، وسلطت الضوء على خفايا النفوس، ودخائل القلوب، وكان فيها تربية للأمة في كل زمان ومكان، ودروساً تتوارثها الأجيال تلو

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٢١..

(٢) سورة آل عمران ، الاية ١٧٩.

الأجيال.فهذه الغزوة العظيمة تعد نموذجاً حياً لما يمر به المسلمون اليوم من محن وشدائد، فما أحرانا أن نقف عندها، ونستفيد من دروسها وعبرها، وما أحوج الأمة وهي تمر بهذه المرحلة الحرجة في تاريخها، أن تراجع نفسها، وتستعيد ذاكرتها، وتعي سيرة نبيها – ﷺ–. فأحدٌ نصرٌ لا هزيمة، معركة فياضةٌ بالعبر والعظات، أحداثها صفحات ناصعة، يتوارثها الأجيال بعد الأجيال.وسأتناول الموضوع من خلال مرتكزين الاول التسمية والموقع والسبب : ثانيا : تحركات النبي ﷺ العسكرية في هذه الغزوة.

التحركات العسكرية(١) في معركة أُحد(٢) : شوال سنة (٣هـ) ، (٦٢٥م)

(١) سبق وان قدم الباحث بحث موسوم ((التحركات العسكرية في غزوة بدر الكبرى)) وتناولنا فيه التحركات العسكرية ومعانيها ولكي نبتعد عن التكرار تركت هذه الدراسة المبحث الخاص بهذا الشأن .ولابد من القول ان تعريف العسكرية في اللغة والاصطلاح لايختلفان فالمراد به العسكر وهم الجماعة . ولم يذكر القرآن الكريم هذه المفردة ، ولكنها وردت في الحديث النبوي الشريف وفي كثير من كتب الصحاح ومثال على ذلك ما رواه الحاكم بسنده عن حذيفة بن اليمان ﷺ : ان الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فلم يبقَ معه إلا اثني عشر رجلاً فأتاني رسول الله ﷺ وأنا جاثٍ من البرد وقال : (يا ابن اليمان قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب فانظر إلى حالهم قلت يا رسول الله (ﷺ): والذي بعثك بالحق ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد قال : فابرز الحرة وبرد الصبح انطلق يا ابن اليمان ولا باس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إليَّ قال : فانطلقت الى عسكرهم فوجدت أبا سفيان يوقد النار وعصبة حوله قد تفرق الأحزاب عنه ، قال : حتى إذا جلست فيهم قال: فحسب أبو سفيان انه دخل فيهم من غيرهم قال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه قال : فضربت بيدي على الذي عن يميني واخذت بيده ثم ضربت بيدي على الذي عن يساري فأخذت بيده فلبثت فيهم هنيهة ثم قمت فأتيت رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي فأومأ إلي بيده أن ادن فدنوت ثم أومئ إلي أيضا ان ادن فدنوت حتى أسبل علي من الثوب الذي كان عليه وهو يصلي فلما فرغ من صلاته قال . ابن اليمان اقعد ما الخبر ؟ قلت : يا رسول الله (ﷺ) تفرق الناس عن أبي سفيان فلم يبقَ إلا عصبة توقد النار قد صب الله عليه من البرد مثل الذي صب علينا ولكنا نرجوا من الله ما لا يرجون) ينظر : الحاكم ، بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ كتاب المغازي والسرايا ، ج٣ ، ص٣٣، برقم (٤٣٢٥)

(٢) يقع جبل أُحد في شمال المدينة وكان يرتفع ١٢٨ متراً أما الآن فيرتفع ١٢١ متراً فقط بسبب عوامل التعرية ، ويبعد عن المسجد النبوي خمسة أميال ونصف=

أولا : التسمية والموقع والسبب :

عرفت هذه الغزوة بالجبل الذي وقعت عنده ، وقد أتفق كتاب السيرة على أن أحُد كانت في شوال في السنة الثالثة من الهجرة ، واختلفوا في اليوم الذي وقعت فيه ، وأشهر الأقوال أنها في يوم السبت للنصف من شوال ، على رأس ستة أشهر من وقعة بني النضير(١) .

ولا خلاف بين كتاب السير: أن سبب هذه الغزوة نتيجة هجوم شنته قريش ولم يمر على غزوة بدر سوى سنة واحدة وشهر ، مستهدفةً الثأر لقتلاها ببدرٍ وإنقاذ طرق التجارة إلى الشام من سيطرة المسلمين واستعِادة مكانتها عند العرب بعد أن زعزعتها موقعة بدر(٢)

=بدءاً من باب ألمجيدي أحد أبواب المسجد النبوي ، ويتكون (أُحد) من صخور جرانيتية حمراء وله رؤوس متعددة ، ويقابله من جهة الجنوب جبل صغير يسمى (عينين) وهو الذي عرف بعد المعركة بجبل الرماة ، وبين جبلين واد عرف بوادي قناة . العمري ، د. أكرم ضياء ، السيرة النبوية الصحيحة ، ط١ ، مكتبة المعارف- المدينة المنورة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج٢ ، ص٣٧٨.

(١) الزهري ، الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب (ت١٢٤هـ)، المغازي النبوية ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر-دمشق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ص٧٦ ، الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب-بيروت ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ج١، ص١٩٩ .

(٢)الكلاعي ، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت٦٣٤هـ)، الإكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق : د. محمد كمال الدين عز الدين علي ، ط١، عالم الكتب - بيروت ، ١٤١٧ هـ ، ج٢ ، ص٥٥.

وقد تابع الرسول ﷺ فرض الحصار الاقتصادي على قريش وذلك لقطع طريق تجارتها مع بلاد الشام ، ولجأت قريش الى تبديل طريق القوافل وإتباع طريق العراق ، الا أنّ ذلك لم يمنع المسلمين من التعرض للقوافل على الطريق الجديد ، مما دفع قريشاً الى الإعداد لمعركة جديدة – معركة احد– كما سيأتي بيانه – ، تستهدف هذه الغزوة استعادة زمام المبادرة بعد هزيمة بدر ، وضرب القوة الإسلامية التي تهدد قوافل مكة التجارية[١] .وبينما كان المشركون يستعدون للجولة القادمة ، قام الرسول ﷺ بعدة غزوات تكتيكية كان الغرض منها ترسيخ السيطرة على المناطق المجاورة للمدينة المنورة والاستمرار في تعبئة القوات وتطوير جاهزيتها القتالية ولا بأس من الوقوف على هذه الغزوات التكتيكية التي قام بها الرسول ﷺ قبل وقعة احد ، وهي باختصار :

١– حصار بني قينقاع وذلك في أوائل شوال من السنة (٢هـ) وقد كان من نتائجها تطهير المدينة من اليهود[٢].

(١)آل يحيى ، سيف الدين سعيد ، الحركات العسكرية للرسول الأعظم في كفتي ميزان ، الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ج١ ، ص١٤٣ .

(٢)ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري ،(ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ، وافسيت منير –بغداد ، ١٩٨٦م ، ج٢ ، ص٤٥٦ .

٢- غزوة بني سليم وكانت في أواخر شوال سنة (٢هـ) وقد كان من نتائجها ان عاد المسلمون بالغنائم دون قتال لفرار المشركين[١].

٣- غزوة السويق وذلك في ذي الحجة من السنة (٢هـ) وكان من نتائجها ظهور تجسس المشركين على المسلمين وفرار قريش وعودة المسلمين دون قتال[٢] .

٤- غزوة ذي أمر وذلك في محرم سنة(٢هـ) وكان من نتائجها أنْ فرّ المشركون وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر كامل وعادوا دون قتال[٣] .

٥- غزوة بحران وذلك في ربيع الأول في السنة (٢هـ) ومن نتائجها أنْ عاد المسلمون بدون قتال بعد أنْ بقوا في ديار أعدائهم ما يقرب الشهر[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤٦

(٢) الواقدي ، المغازي ، ص١٨٢ ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٤٨ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٤٩ ، الطبري ،محمد بن جرير (ت٣١٠ه) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – مصر ، ١٩٦٠م ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

(٤) الواقدي المغازي ، ص١٩٥ ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٥٠ ، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ،(ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مكتبة المعارف–بيروت ، (د–ت) ، ج٤ ، ص٣ .

٦- سرية زيد بن حارثة ﷺ ولم تذكر المصادر وقتها تحديدا ولكنها كانت في السنة (٢هـ) وكان من نتائجها ان المسلمين قد غنموا قافلة[١] .

ثانيا : تحركات النبي ﷺ العسكرية في هذه الغزوة(٢)

---

(١)أبن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق: إحسان عباس ، ط١ ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٨م ، ج٢ ، ص٤٨ .

(٢)قسم احد الباحثين من العلماء العسكريين العسكرية في الإسلام بمفهومها القديم والظاهر وذلك من خلال الاستقراء على ستة أقسام هي : القسم الأول: العقيدة العسكرية الإسلامية، وهي العقيدة التي وردت تفاصيلها في القرآن الكريم والسنَّة النبوية والفقه الإسلامي، مبادئ طبقها المسلمون الأولون على عهد الرسول القائد ﷺ ، وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى .والقسم الثاني: هي المعارك العربية الإسلامية ، وتشمل غزوات النبي ﷺ وسراياه، ومعارك حروب الردِّة، ومعارك الفتح الإسلامي العظيم، ومعارك استعادة الفتح بالنسبة للبلاد المفتوحة والتي انتقضت، والمعارك الدفاعية التي صدَّت الغزاة عن بلاد المسلمين، ومعارك الاندحار. والقسم الثالث: هم القادة العسكريون العرب المسلمون ، وهم قادة النبي ﷺ الذين تولّوا قيادة سراياه أو قيادة بعض تشكيلاته التعبوية في غزواته، وقادة حروب الردَّة، وقادة الفتح الإسلامي العظيم، وقادة المعارك الدفاعية الذين صدّوا الغزاة عن بلاد المسلمين.والقسم الرابع: هو التراث العسكري العربي الإسلامي. وهذا التراث الأصيل، موزَّع في المكتبات العامة والخاصة، والمتاحف ودور الآثار في جميع أرجاء العالم تقريباً.والقسم الخامس: هي الأسلحة العربية الإسلامية القديمة التي استعملها المجاهدون في غزوات النبي ﷺ وسراياه،وفي معارك حروب الردَّة، وفي معارك الفتح الإسلامي العظيم، وفي معارك استعادة الفتح، وفي المعارك الدفاعية عن البلاد الإسلامية، فكانت من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم، ولو أن السِّلاح عامة ليس مهماً كأهمية اليد التي تستعمله والإنسان الذي يتصرَّف به.والقسم السادس : هي اللغة العسكرية العربية الإسلامية في البلاد العربية وفي البلاد الإسلامية.ينظر : خطاب ، محمود=

١- المباغتة

بغته بغتاً من باب نفع:فاجأه،وجاء بغتةً،أي:فجأةً على غرة وباغته كذلك[١] والبغتُ مفاجاة الشيء من حيث لا يحتسب[٢] قال تعالى:" لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً " [٣].

ولعل من أهم الحركات العسكرية التي قام بها النبي ﷺ بعد ان بلغه ان طليحة وسلمة ابني خويلد يحرضان قومهما بني أسد بن خزيمة[٤] لغزو المدينة المنورة ونهب أموال المسلمين فيها[١]

=شيت ، العسكرية العربية الإسلامية ، عقيدة وتاريخ، وقادة وتراث ، ولغة وسلاحاً ، نشر ، كتاب الأمة عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – قطر، ١٤٠٣هـ ، ص٢١-٢٤.

(١)الفيومي ، احمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ) ، المصباح المنير ، اعتنى به عزة زينهم عبد الواحد ، ط١ ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ،د.ت ، ص٤١ (مادة بغت) .

(٢) الراغب الاصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ، (ت٥٠٣هـ) ، معجم مفردات ألفاظ القران ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص٥٦٦ ، ويؤكد ذلك سيد قطب في تفسيره للآية ١٨٧ من سورة الاعراف : ينظر: في ظلال القران دار الشروق ، القاهرة ، ط٣٤ ، ٢٠٠٤م ، ص٦٥ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٨٧ .

(٤)بنو اسد : قبيلة عظيمة من العدنانية ، تنتسب الى اسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وهي ذات بطون كثيرة كانت منازلهم فيما يلي الكرخ من ارض نَجْدٍ ، وفي مجاورة طيء ، ويقال : ان بلاد طيء كانت لبني اسد ، فلما خرجوا من اليمن غلبوهم على اجأ وسلمى ، وجاءوا او واصطلحوا ، وتجاوروا ببني اسد ، ثم تفرقوا في بلاد الحجاز . هم من نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى

انه ﷺ قرر ارسال دورية قتال بقوة خمسين ومائة مسلم من المهاجرين والانصار بين راكب وراجل ، فيهم ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص ﷺ بقيادة سلمة بن عبد الأسد ﷺ للقضاء على بني اسد قبل قيامهم بغزو المدينة المنورة ؛ وأمرهم النبي ﷺ بالسير ليلاً والاستخفاء نهاراً ، وسلوك طرق غير مطروقة ، حتى لا يطلع احد على إخبارهم ونياتهم ، ليباغتوا بذلك بني أسد في وقت لا يتوقعونه[٢] وسار أبو سلمة ﷺ ليلاً وكمن نهاراً حتى وصل إلى ديار بني أسد ، دون ان يعرفوا عن حركته إليهم شيئاً فأحاط بهم فجراً ، فلم يستطع المشركون الثبات ثم ولوا الأدبار وأرسل أبو سلمة ﷺ مفرزتين من قواته لمطاردتهم فعادتا بالغنائم[٣] .

٢- الاستطلاع

تقدم القول بان كتائب الاستطلاع والعيون التي كان يستعملها النبي ﷺ لرصد حركات قريش لم تقتصر على خارج

ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٢) . ابن خلدون ، عبد الرحمن الحضرمي ، (ت٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر، راجعه: سهيل زكار، دار الفكر ، ط١، بيروت ، ١٩٨٨م ، ج٢ ، ص٣٢٠، ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل- بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ج١ ، ص٥١ .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣، ص٥٠ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، ج٢ ، ص٦٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٨ .

مكة او قريب من حدودها بل كان للنبي ﷺ عيون داخل مكة تتابع أخبارهم وترصد حركاتهم وتتعقب أعمالهم ، وكان العباس رضي الله عنه هو الذي يقوم بهذه المهمة .

وقبل غزوة احد : أرسل العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ رسالة مع احد الرجال ، يخبر بها الرسول ﷺ عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد قواتها . فأسرع الرجل بالرسالة حتى قطع الطريق بين مكة والمدينة بثلاثة ايام ، فوجد الرسول ﷺ ماكثا بمسجد قباء[١] فدفع إليه بالرسالة[٢] ، ومضمون الرسالة باختصار: (ان قريش قد أجمعت المسير إليك فما كنت صانعا اذا احلوا بك فاصنعه وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مئتي

(١) قُبا – بالضم – أصله بئر هناك عرفت القرية به وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار ، والفهُ يمد ويفصل ويصرف ولا يصرف ، وكان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن نزلوا عليه من الأنصار بنو بقباء مسجدا يصلون فيه الصلاة سنة الى بيت المقدس فلما هاجر رسول الله ﷺ وورد قباء صلى بهم فيه وأهل قباء يقولون هو المسجد الذي أسس على التقوى ويقع مسجد قباء على ثلاثة أميال من المدينة ولمسجد قباء فضائل كثيرة ، ومكانة عظيمة في قلوب المسلمين . والمتتبع لكتب الحديث الصحاح يجد فيها (باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته) . ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، لبنان–بيروت ، (د– ت) ،ج٤ ، ص٣٠٢ ، العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد (ت٨٥٥هـ)، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة المنيرية –بيروت، بلا. ت ، ج٨ ، ص٢٥٩ .

(٢)ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عمر ألنميري القرطبي(ت٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ط١، دار الجيل– بيروت–١٤١٢هـ ، ج٢ ، ص٨١٢

فرس وفيهم سبعمائة درع وثلاثة آلاف بعير واوعبوا الى السلاح)[١] . وقد قرأ الرسالة أبي بن كعب على الرسول ﷺ ، فطلب إليه ان لا يبوح بمضمونها لأحد . وعاد الى المدينة[٢] .

ومما يتصل بالاستطلاع ان الرسول ﷺ أرسل رجلين من أصحابه لمعرفة الموضع الذي وصلته قريش فوجداها قاربت المدينة وأطلقت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها.[٣] وبعث رسول الله ﷺ الحباب بن المنذر الى القوم ، فدخل فيهم وحزر ونظر الى جمع ما يريد ، وبعثه سرا وقال للحباب : (لا تخبرني بين احد من المسلمين إلا أن ترى قلة)[٤] .ويبدو ان إطلاق خيلهم وإبلهم ترعى كان عمدا وذلك لغرض استفزاز المسلمين وإجبارهم على الخروج من المدينة لمقاتلتهم لأنهم كانوا لا يجيدون القتال في المدن – كما يأتي بيانه– .

ثالثاً: الشورى

لما علم النبي ﷺ بخروج قريش لحرب المسلمين ووصولهم الى مشارف المدينة المنورة كان اول شيء فعله ﷺ انه طلب المشورة، فقد ذكرت المصادر ان النبي ﷺ قال يوم الجمعة ٦

(١) الواقدي ، المغازي ،ج١ ، ص٢٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠٤– ٢٠٥ .

(٣)ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي،(ت ٥٩٧هـ)،المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار الفكروالطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥. ٢/ ٧٠٧ .

(٤) الواقدي ، المغازي ، ص٢٠٧ .

شوال أو١٤ شوال سنة ٣هـ قبل صلاة الجمعة: (أشيروا عليَّ)[١] .في صباح يوم الجمعة-كما تقدم آنفا- جمع الرسول ﷺ أهل الرأي من المسلمين لأخذ رأيهم في كيفية لقاء العدو فقام عبد الله بن ابي سلول فقال: يا رسول الله ! كنا نقاتل في الجاهلية فيها – يريد المدينة المنورة – ونجعل الذراري والنساء في هذه الصياصي[٢] ونجعل معهم الحجارة . والله ، لربما مكث الولدان شهرا ينقلون الحجارة إعدادا لعدونا ، ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية ، وترمي المراة والصبي من فوق الصياصي والاطام[٣] ونقاتل بأسيافنا بالسكك . يا رسول الله : ان مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط الا اصبناهم ، فدعهم يا رسول الله ، فانهم ان أقاموا بشرط محبس ، وان رجعوا خائبين مغلوبين ، لم ينالوا خيرا . يا رسول الله اطعني في هذا الامر واعلم اني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم ، فهم كانوا أهل الحرب والتجربة " [٤] وكان رأي رسول الله ﷺ مع رأي ابن أبي ، وكان ذلك رأي الاكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، إلا حمزة وسعد بن عبادة رضي الله عنهما

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٣ .

(٢) الصياصي : جمع الصيصة ، والمراد بها الحصن . ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار صادر- بيروت ، ط١ ،١٩٩٦م ، ج٧، ص٥١ . (مادة صيص)

(٣) الآطام : جمع الاطم ، والمراد به الحصن – أيضاً- والبيت المرتفع . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص١٩ . (مادة اطم) .

(٤) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢١٩ .

فأنهم كانوا ينادون بالخروج[1] وكان رسول الله ﷺ قد رأى رؤيا : فقال : لِلْمُسْلِمِينَ: " اني قد رأيت بقرا فأولتها خيرا ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت اني ادخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ، فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان اقاموا اقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها " ونزلت قريش منزلها من احد يوم الاربعاء فاقاموا به ذلك اليوم يوم الخميس ويوم الجمعة وراح رسول الله ﷺ حين صلى الجمعة ، فاصبح بالشعب من أُحد فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال ، وكان رأي عبد الله بن أُبي ابن سلول مع رأى رسول الله ﷺ -كما ذكرنا- ، يرى رأى رسول الله ﷺ فِي ذَلِكَ: أَلّا يَخْرُج إليهم[2] ، فقال رسول الله ﷺ : " امكثوا في المدينة ، واجعلوا النساء والذراري في الآطام ، فان دخلوا علينا قاتلناهم في الازقة ، فنحن اعلم بها منهم ، وارموا من فوق الصياصي والآطام" ، والقصد من هذا الرأي (السديد) أنّ قريشاً اذا دخلت المدينة قاتلهم النبي ﷺ وأصحابه ﷺ بالمدينة قتال شوارع وفي منطقة يعرفها المسلمون كل المعرفة ولا تعرفها قريش ، مما يساعد المسلمين على ضرب قريش وإيقاع الخسائر الفادحة بها . كما هو ظاهر من السياق المتقدم .لكن فتيانً أحداثاً لم يشهدوا بدرا ، طلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوهم ، ورغبوا في الشهادة وأحبوا لقاء العدو فقالوا: (اخرج بنا إلى

(١) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢١٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص٥٠٢ .

عدونا)[١].وقال رجال من أهل السلم وأهل النية من المهـاجرين والأنصار: (إنّا نخشى يارسول الله أنْ يظن عدونا أنّا كرهنا جبنا عن لقائهم ، فيكون هذا جرءةً منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير . قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله به ، فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا)[٢] ورسول الله ﷺ لما يرى من إلحاحهم كاره[٣] .

ولما رأى الرسول ﷺ أنّ الأكثرية تؤيد الخروج قال لهم : (إني أخاف عليكم الهزيمة)[٤] فأبوا مع ذلك الا الخروج فنـزل على رأي الأكثرية ، لان الشورى كانت أساس نظامه الـذي لا يحيد عنه .

أمر الرسول ﷺ صحابته أنْ يتهيئوا للخروج ، ودخل داره وتقلد سيفه وارتدى عدة القتال ثم خرج الى النـاس[٥] .ثـم ان الصحابة ﷺ شعروا انهم استكرهوا الرسول ﷺ علـى رأيهـم ، واظهروا الرغبة في النزول على رأيه الا ان النبـي ﷺ وجـد غضاضة في الاضطراب بين تشتت الآراء والتردد في قراراته

(١) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢١٠ .

(٣) ابن الجوزي.المنتظم.٢/٧١٣.

(٤) ابن هشام.السيرة.٣/ ١٥٢، الطبري. تاريخ. ٣/ ٢١.

(٥) الواقدي،المغازي،ج١،ص١٤،ابن هشام ، السيرة ،ج٣، ص٧،ابن سعد،الطبقات ، ج٣ ، ص٣٨ .

وكان من ضمن المواقف والاحداث المهمة ان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير[١] قالا للصحابة: (قلتم لرسول الله ﷺ ما قلتم ، واستكرهتموه على الخروج ، والامر ينزل عليه من السماء ! فردوا اليه ، فما امركم فافعلوه وما رأيتم فيه هوى او رأي فاطيعوه)[٢] فلما خرج رسول الله ﷺ ندموا جميعا على ما صنعوا . وقال الذين يلحون على رسول الله ﷺ : ما كان علينا أنْ نلح على رسول الله في امر يهوى خلافه[٣] وندمهم اهل الراي – كما ذكرنا انفا – فقالوا بعد ذلك – يا رسول الله : ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما بدى لك ، وما كان لنا أنْ نستكرهك والامر الى الله ثم اليك فقال ﷺ (قد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم ، ولا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله

(١) أسيد بن حضير ، الانصاري الاوسي الاشهلي يكنى ابا يحيى بابنه يحيى ، وقيل ابا عيسى كناه بها النبي ﷺ ، وقيل: كنيته ابو عتيك ، وقيل ابو حضير ، وقيل: ابو عمرو : كان ابوه حضير فارس الاوس في حروبهم مع الخزرج ، وكان له حصن واقم ، وكان رئيس الاوس يوم بعاث . اسلم اسيد قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة ، وكان اسلامه بعد العقبة الاولى ، وقيل: الثانية ، توفي في شعبان سنة (٢٠هـ) . ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١، ص٩٢– ٩٤ ، ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١ ، ص٤٨ .

(٢) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢١٤ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٨ ، ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي–بيروت ، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م ، ج٢ ، ص١٥٠ .

بينه وبين اعدائه)[1] ثم قال ﷺ : (انظروا ما امرتكم به فاتبعوه انظروا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم)[2] .

وربما قد اطلت في الحديث عن الشورى في هذه الغزوة والحقيقة ان ذلك لم يكن تعمدا وانما ذلك لاهمية موضوع الشورى في هذه المعركة تحديداً فالمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد فيها ستين آية من سورة آل عمران كان من ضمنها ما نزل في وصف هذه الشورى وموقف النبي ﷺ من الذين اشاروا عليه بخلاف رأيه في وقت ابداء آرائهم وموقفه بعد ان تكشفت الامور في القتال وظهر خطر تلك الآراء. ومن هذه الايات على سبيل المثال لا الحصر ، قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3] وقد جاء في تفسير هذه الاية : فبرحمة الله يا محمد (ﷺ) ورأفته بك ومن آمن بك من أصحابك (لنت لهم) لإتباعك وأصحابك ،

(١)الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢٠٩ ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧-٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص٥٠٢- ٥٠٣ .

(٢) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) ،صحيح البخاري ، تحقيق: مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة – بيروت ، ط٣ ،١٩٨٧، ج٩ ، ص٩١ ، البهيقي ، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي ،(ت٤٥٨هـ) السنن الكبرى ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، ط١ ١٣٤٤ هـ ، ج٧ ، ص٤٠ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

فسهلت لهم خلائقك وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت من نالك منهم اذاه ، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به واغلضت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة ، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم ، فبرحمة من الله لنت لهم(١)

والمتأمل في مناسبة هذه الاية يجد انها جاءت كما يقول الإمام الرازي(٢): (واعلم ان القوم لما انهزموا عن النبي ﷺ يوم احد ثم عادوا لم يخاطبهم الرسول ﷺ بالتغليظ والتشديد وانما خاطبهم بالكلام اللين ، ثم انه سبحانه وتعالى لما أرشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، وكان من جملة ذلك ان عفا عنهم، زاد في الفضل والإحسان لان مدح الرسول ﷺ على عفوه عنهم ، وتركه التغيير عليهم فقال ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ومن أنصف علم ان هذا ترتيب حسن في الكلام) .وعلى ايةِ حال فالشورى هي سياسة الأمة في السلم والحرب والخوف والأمن وغير ذلك من مصالحهم الدنيوية والخير كل الخير في تربية الأمة على المشاورة بالعمل والمتأمل : فيما جاء من أقوال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

(١) الطبري ، جامع البيان في تأويل القران ، تحقيق: محمود واحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ج٧ ، ص٣٤١ .

(٢)الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التيمي (ت٦٠٦هـ) ، التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ٢٠٠٠م ، ج٤ ، ص٤٤٠ .

عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ يجد إنما وقع من الشورى بين النبي ﷺ وأصحابه يقف على مدى مطابقة النبي ﷺ لما انزل عليه من القرآن ؛ فالمعنى كما يقول اهل التفسير : اذا عزمت بعد المشاورة على إمضاء ما ترجحه الشورى ، وأعددت له عدته ، فتوكل على الله في إمضائه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ، على حول الله وقوته ، مع العمل بالأسباب بسنته[1].

رابعا : قبل بدء القتال :

لما قر الرسول ﷺ الخروج اتخذ عدة اجراءات منها انه ﷺ تحرك بالجيش بعد منتصف الليل اذ يكون الجو هادئا والحركة قليلة والاعداء في نوم عميق وكذلك حتى لا يكتشف الجواسيس تحركات جيشه ﷺ ، وتقدم النبي ﷺ بألف رجل حتى نزل الشيخين[2] وهناك رأى مع المسلمين مفرزة[3] لا يعرف أهلها ، فلما سأل عنها علم أنّ أفرادها من اليهود بقيادة ابن أبي وقد أرادت هذه المفرزة ان تشترك مع النبي ﷺ في حربه

(١) البيضاوي ، ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر بن عبد الله الشيرازي (ت٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المطبعة العثمانية ، ١٣٠٥هـ ، ج١ ، ص٦٨٣ .

(٢) الشيخان : موضع في ضواحي المدينة ، كان فيه معسكر رسول الله ﷺ ليلة خرج لقتال المشركين باحد . وقيل: الشيخان هما اطمان سميا بهذا الاسم لان شيخا وشيخة كانا يتحدثان هناك . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٧٢ .

(٣) المفرزة : هي القطعة . الفيومي ، المصباح المنير ، ص٣٠٠ (مادة فرز) .

لقريش[١] الا أنّ الرسول ﷺ رفض ذلك ثم انسحب بعدهم عبد الله بن أُبي مع ثلثمائة من أنصاره وبقي النبي ﷺ مع سبعمائة من أصحابه يستعد بهم لقتال ثلاثة آلاف[٢] .

خامسا : معسكر المسلمين

عسكر المسلمون بالشعب من موضع احد في عدوة الوادي[٣] جاعلين ظهرهم إلى جبل احد وقد وضع النبي ﷺ خطة للقتال كانت على النحو الآتي :

١- وضع النبي ﷺ خمسين من الرماة بامرة عبد الله بن جبير[٤] في موضع يقال له عينين[٥] على طريق تقريبه يؤدي من الجبل إلى خلف قواته وكان هدفه من وضع هذه القوة هو حرمان العدو من الالتفات على قواته من الخلف ، ولتكون هذه القوة قاعدة أمينة لقواته عند الحاجة . وقد ذكر المؤرخون ان النبي ﷺ تقدم الى الرماة

---

(١) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢١٥ .

(٢) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢١٥ .

(٣) عدوة الوادي،موضع قريب من جبل احد:البكري،أبو عبيد عبيد الله (ت٤٨٧هـ)،معجم ما استعجم ، ط١ ، مطبوع على نفقة جامعة الدول العربية ، ١٩٤٩م، ج١، ص٣٦ .

(٤) عبد الله بن جبير، بن نعمان الأنصاري اخو خوّات بن جبير شهد العقبة وبدرا واستشهد باحد. قيل: لما انهزم المشركين ذهبت الرماة ليأخذوا من الغنيمة فنهاهم عبد الله بن جبير فمضوا وتركوه. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص٢٦٤ ، ابن حجر، الاصابة، ج٤، ص٣٥

(٥) عينان ، جبل بأحد . البكري ، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٨٨ .

فقال:(احموا لنا ظهورنا ، فانا نخاف ان نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، اللهم اني أشهدك عليهم وارشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل)[١].

٢- نظم الرسول ﷺ أصحابه صفوفا للقتال بهم باسلوب الصف ، وتخير الأشداء ليكونوا طليعة الصفوف[٢] .

٣- أصدر أمره ﷺ بأن لا يقاتل احد إلا بأمر منه[٣] .

٤- قام النبي ﷺ ببث الروح المعنوية في صفوف المسلمين وشجع أصحابه على الصبر والقتال ومما يتصل بهذا ان النبي ﷺ اخذ سيفا بيده فقال مخاطباً اصحابه:(من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فقام إليه رجال فامسكه عنهم ، حتى قام ابو دجانة[٤] فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ فقال الرسول ﷺ: (ان تضرب به العدو حتى ينحني)[٥] .

---

(١) الواقدي ، المغازي ، ص١٨٤ .

(٢) الشامي ، الإمام محمد بن يوسف الصالحي (ت٩٤٢هـ) ، سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد ، تحقيق: الشيخ عادل احمد والشيخ علي محمد معوض ، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ،١٤١٤هـ -١٩٩٣م ، ج٤، ص١٨٩ .

(٣) الواقدي ، المغازي ، ص١٨٠ .

(٤) أبو دجانة ، هو سِمَاك – بكسر أوله وتخفيف الميم – بن اوس بن خرشة ابو دجانة الأنصاري متفق على شهوده بدراً واستشهد باليمامة وهو الذي اخذ سيف النبي ﷺ يوم احد ففلق به هام المشركين . ابن حجر ، الإصابة ، ج٧ ، ص١١٩ .

(٥) البيهقي ، السنن : ج٩ ، ص١٥٥ ، برقم (١٨٢٥٥) .

ولابي دجانة قصة في الشجاعة والقتال لا باس بالوقوف عليها فقد كان ﷺ رجلا شجاعا له عصابة حمراء ، اذا اعتصب بها علم الناس انه سيقاتل ، فاخذ السيف واخرج عصابته الحمراء التي كانوا يسمونها (عصابة الموت) وعصب بها راسه ، وجعل يتبختر بين الصفين على عادته اذ يختال عند الحرب[١] ، فلما رآه الرسول ﷺ يتبختر قال: (انها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن)[٢] .

هذا هو عسكر المسلمين قبل نشوب القتال .

سادسا : الغزوة وسير أحداثها

قال الواقدي: (ان أول من انشب الحرب بينهم ابو عامر طلع في خمسين من قومه معه عبيد قريش ، فنادى ابو عامر : يا آل اوس انا ابو عامر ، فقالوا : لا مرحبا بك ولا اهلا يا فاسق ، فقال : لقد اصاب قومي بعدي شر ومعه عبيد اهل مكة، فترامو بالحجارة هم والمسلمون حتى تراضفوا بها ساعة حتى ولى ابو عامر واصحابه ودعا طلحة بن ابي طلحة الى البراز ، ويقال: ان العبيد لم يقاتلوا ، وامروهم بحفظ عسكرهم)[٣] فنشبت

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٥٥٦ .

(٢) ابن بطال ، ابو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ) ، شرح صحيح البخاري ، تحقيق : ابو تميم ياسر بن ابراهيم ، ط٢ ، مكتبة الرشيد ،الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ،(باب ما جاء في اسباغ الرجل ثوبه) ج٩ ، ص١٣٥ برقم(١٤٢٣).

(٣) المغازي ، ص١٨٢- ١٨٣ .

الحرب ، وكان ابو عامر هذا قد انتقل من المدينة الى مكة يحرض قريشا على قتال النبي محمد ﷺ ولم يكن شهد بدرا مع قريش وذكر الواقدي وغيره : (ان عامرا جعل نساء المشركين قبل ان يلتقي الجمعان امام صفوف المشركين يضربن بالاكبار[١] والدفوف والغرابيل[٢] ، ثم يرجعن فيكن في مؤخر الصف حتى اذا دنوا – من المسلمين – تاخر النساء يقمن خلف الصفوف فجعلن كلما ولى رجل حرضنه وذكرنه قتلاهم ببدر)[٣].وقد كان لعامر هذا دور كبير في التعبئة لهذه المعركة ولكن على ما يبدو بصورة كاذبة اذ انه لم يخرج معه الى أُحد الا خمسة عشر رجلاً من الاوس ومن عبيد أهل مكة – كما اشرنا – فقط وكان يزعم لقريش انه اذا نادى اهله المسلمون من الاوس الذين يحاربون في صفوف النبي ﷺ استجابوا له وانحازوا معه ونصروا قريشاً لكن الامر لم يكن كما اراد فقد استقبله المسلمون من قومه بعد ان نادى عليهم بـ (لا انعم الله بك عينا يا فاسق) كما تقدمت الاشارة آنفا .

(١) الاكبار : الطبول . الفيومي ، المصباح المنير ، ص٣٤٠ (مادة كبر) .

(٢) الغرابيل : جمع غربال ، وهو الدف . ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، (ت٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٩٧٩م ، ج٣ ، ص١٥٤ .

(٣) الواقدي ، المغازي ، ص١٨٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٥٤ .

ثم هاجموه ونشب القتال بين الطرفين بعد ان اذن الرسول للمسلمين بالقتال[١] حاول ابو عامر وعكرمة بن ابـــي جهـــل ان يلتفا على أجنحة المسلمين ، ولكن المسلمين رشقوهم بالحجارة ، ولم يكن من السهل الالتفاف على أجنحة المسلمين لاستنادها على هضاب جبل احد ففشلت محاولات التفاف المشركين وقد ذكرت المصادر التاريخية ذلك فقالوا: (كان للمشركين مجنبتان ميمنـــة عليها خالد بن الوليد ، وميسرة عليها عكرمة بن ابـــي جهـــل . قالوا : وجعل رسول الله ﷺ ميمنة وميسرة ودفع لوائه الأعظـــم الى مصعب بن عمير او علي بن ابي طالب ﷺ ، ودفـــع لـــواء الاوس الى اسيد بن خضير، ولواء الخزرج الى سعد بن عبـــادة او حباب بن المنذرﷺ ، والرماة يحمون ظهورهم يرشقون خيل المشركين بالنبل فتولي هوارب ، قال بعض الرماة: لقد رمقـــت نبلنا ، ما رأيت سهما واحدا مما نرمي به خـــيلهم يقـــع علـــى الارض الا في فرس او رجل ، واستخلف على المدينة عبـــد الله بن أم مكتوم)[٢] .

سابعا : كلمة التعارف :

لكل معركة ظرف وحال وقد اعتادت الجيـــوش اليـــوم ان تستخدم لكل يوم كلمة سر تختلف عن سابقتها ، وكذا هو الحـــال قديما فقد كانت كلمة التعارف في معركة بدر الكبـــرى (أحـــدٌ ،

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص٥١١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٥ .

(٢) الواقدي، المغازي ، ص١٨٣ .

أحد) اما في غزوة أُحُد فقد استعمل المسلمون كلمة التعارف وكانت (أمت ، أمت) وقد هتف بها حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، ثم اندفع الى قلب جيش المشركين[١] .

ونادى حامل لواء المشركين طلحة بن ابي طلحة من يبارز فخرج اليه علي بن ابي طالب فقال عليه السلام : هل لك في البراز ؟ قال طلحة : نعم فبرز بين الصفين ورسول الله ﷺ جالس تحت الراية عليه درعان ومغفر وبيضة فالتقيا فبدره علي فضربه على راسه ، فمضى السيف حتى فلق هامته حتى انتهى الى لحيته فوقع طلحة ، وانصرف علي عليه السلام[٢] .

يضاف الى هذه البطولات اندفاع ابو دجانة ﷺ الذي لا يلاقي أحداً الا قتلهُ وقد شق صفوف المشركين وقد اشتد القتال واندفعت قريش الى القتال يثور في عروقها طلب الثار لمن مات من أشرافها وساداتها يوم بدر وقد كانت هند بنت عتبة[٣] قد

(١) الطبري،تاريخ الرسل والملوك،ج٤،ص٢٠٥،ابن حزم،علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ)،جمهرة انساب العرب،تحقيق:إحسان عباس، ط١، دارالمعارف- مصر، ١٩٠٠م ، ج١، ص١٦٠ ،

(٢) الواقدي، المغازي، ص١٨٤ .

(٣) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الهاشمية امراة ابو سفيان بن حرب وهي ام معاوية أسلمت بالفتح بعد إسلام زوجها وكانت امرأة لها نفس وانفه . ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ) ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، نشر المكتبة الاسلامية – رياض الشيخ د- ت ، ج١ ، ص١٤٢٤ .

وعدت وحشي الحبشي[١] خيرا كثيرا هي ومولاه جبير بن مطعم وكان عمه قد قتل ببدر وقال ــ أي جبير بن مطعم ــ لوحشي: ان قَتَلْتَ حمزة عم محمد فأنت عتيق . وتربص وحشي بين الصفوف يترصد حمزة ﷺ ، حتى رآه في عرض الناس يحطم أبطال المشركين ، فصوب إليه حربته وقذفه بها ، فأصابت بطن حمزة أسفل صرته وخرجت من بين رجليه ، فاستشهد على أثره[٢] . على الرغم من الخسارة الفادحة التي لحقت المسلمين باستشهاد حمزة فان قواتهم بقيت مسيطرة على الموقف تماما واخذ لواء المشركين يسقط بين حين وآخر وقتل أصحاب اللواء ، وانكشف المشركون منهزمين لا يلوون ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح[٣] .

وقد روى كثير من الصحابة ممن شهد احدا قال كل واحد منهم : والله إني لأنظر إلى هند وصاحباتها منهزمات ما دون أخذهن شيء لمن اراد ذلك ، وكلما اتى خالد من قبل ميسرة

(١) وحشي بن حرب الحبشي،ابو دسمة،هو من سودان مكة ، كان مولى لطعيمة بن عدي وقيل مولى لجبير بن مطعم ، قاتل حمزة ﷺ يوم احد واشترك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وهو القائل: (قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام)ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١١٠٣ .

(٢) السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد ، (ت٥٨١هـ) ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي-بيروت ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، ج٥ ، ص٣١٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٧.

(٣) الواقدي ، المغازي ، ص١٨٦ .

النبي ﷺ ليجوز حتى يأتي من قبل السفح فيرده الرماة حتى فعلوا ذلك مراراً ، ولكن المشركين اتوا من قبل الرماة ، ان رسول الله ﷺ أوعز اليهم فقال: (قوموا على مصافكم هذا، فاحموا ظهورنا ...)[١] فلما انهزم المشركون وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر ووقعوا ينتهبون العسكر ، قال بعض الرماة لبعض لمَ تقيمون هاهنا ؟ قد هزم الله العدو وهؤلاء اخوانكم ينتهبون عسكرهم فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع اخوانكم[٢].

وهكذا اختلف الرماة فيما بينهم ايتركون مواضعهم ام يبقون فيها ، فأصرّ قائدهم عبد الله بن جبير على البقاء وعصاه اكثرهم وانطلقوا ، ولم يبق معه غير نفر دون العشر ، واشترك المنطلقون بالنهب وبسبب اختلاف الرماة وتركهم الجبل الذي يحمي ظهور المسلمين انتهز خالد بن الوليد فرصة ترك رماة المسلمين لمواضعهم وكانت على ميمنة خيل المشركين فهجم على مواضع الرماة التي تركوها واستطاع اجلاء الباقين منهم عن مواضعهم لقلة عددهم وعدم إمكانهم الصمود في موضعهم الواسع بالنسبة لعددهم الذي أصبح قليلاً فصاح خالد يعلن لقريش بانه التف وراء المسلمين فعادت قوات قريش المنهزمة بالقيام بهجوم مقابل ليصبح المسلمون محاطين من كافة جوانبهم

(١) الواقدي ، المغازي ، ص١٨٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٨٦- ١٨٧ .

وتحرج موقفهم للغاية ، سيما وان صفوفهم لم تكن رصينة في موضعها لتستطيع الصمود إذ تبعثر أفرادها لجمع الغنائم واخذ المشركون يديمون زخم هجومهم للقضاء على الرسول ﷺ وأصحابه ونادى احدهم : بأنه استطاع قتل النبي ﷺ ، ولكن أصحابه استماتوا بالدفاع عنه ورمى الرسول ﷺ بنفسه عن قوسه حتى تحطمت القوس . وتساقط المسلمون حوله صرعى واحدا بعد الآخر مستقتلين في الدفاع عنه واستطاعوا شق طريقه عبر صفوف قريش الى رابية مشرفة من روابي جبل احد وتركت هذه الاستماتة أثرها في قريش فتوقف زخم الهجوم قليلا واستفاد المسلمون من هذه الفرصة السانحة فصعد الرسول ﷺ بهم الى جبل احد ، ولكن خالد بن الوليد وصل بفرسانه قريبا منهم ، فقام المسلمون عليه بهجوم مقابل واستطاعوا صد قواته[1] وهكذا انتهت المعركة.

(١) ابن الجوزي . المنتظم . ٢/ ٧١٢.

الخاتمة

إن الذي حدث في أحد عبرة عظيمة للدعاة وتعليمًا لهم بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان ويخفى عليهم، فيؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة ومتطلبات الفوز بنعيمها، ويعصون أوامر الشرع الصريحة كما عصى الرماة أوامر الرسول ﷺ الصريحة بتأويل ساقط، يرفعه هوى النفس وحب الدنيا، فيخالفون الشرع وينسون المحكم من أوامره، كل هذا يحدث ويقع من المؤمن وهو غافل عن دوافعه الخفية، وعلى رأسها حب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ومتطلبات الإيمان، وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم واقتلاع حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس وتلفتها إلى الدنيا ومتاعها.وإن اشتراك الرسول صلى الله عليه وسلم في القتال مثله كأي فرد من أفراد جيشه دليل على حرصه صلى الله عليه وسلم على عدم تميزه عن جنده ومساواة نفسه بهم. وفيه دليل على شجاعته وصبره وتحمله الأذى في سبيل دعوته.وإن الشهادة عند الله من أعلى مراتب أوليائه ، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو وغيره.إن حكمة الله وسنته في رسله ، وأتباعهم ، جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة ، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم

ويطيعهم للحق وما جاؤوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة ، خاصة وان هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان : {هل قاتلتموه ؟ قال : نعم. قال : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجال ، يدال علينا المرة ، وندال عليه الأخرى. قال : كذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة}(١).وميزت محنة أحد بين المؤمن والمنافق الذي دخل الإسلام ظاهراً بعد انتصار المسلمين ببدر، وفي ذلك قال تعالى : {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}(٢).

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج ٤، ص٣٠٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الاية ١٧٩ .

المصادر

القران الكريم

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ)

- اسد الغابة في معرفة الصحابة ، نشر المكتبة الاسلامية – رياض الشيخ د- ت
- الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي-بيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، (ت٦٠٦هـ)

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٩٧٩م

البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)

- صحيح البخاري ، تحقيق: مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة – بيروت ، ط٣ ،١٩٨٧

ابن بطال ، ابو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)

- شرح صحيح البخاري ، تحقيق : ابو تميم ياسر بن ابراهيم ، ط٢ ، مكتبة الرشيد ،الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

البكري ، أبو عبيد عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ)

- معجم ما استعجم ، ط١ ، مطبوع على نفقة جامعة الدول العربية ، ١٩٤٩م .

البيهقي ، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي ،(ت٤٥٨هـ)

- السنن الكبرى ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، ط١ ١٣٤٤ هـ

البيضاوي ، ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر بن عبد الله الشيرازي (ت٦٨٥هـ)
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المطبعة العثمانية ، ١٣٠٥هـ .

ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن ،(ت ٥٩٧هـ).
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار الفكروالطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥

الحاكم ، بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري (ت٤٠٥هـ)
- المستدرك على الصحيحين،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠

ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ)
- الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل– بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ

ابن حزم ، علي بن احمد بن سعيد الظاهري (ت٤٥٦هـ)
- جمهرة انساب العرب،تحقيق: إحسان عباس ، ط١، دار المعارف– مصر ، ١٩٠٠م .

ابن خلدون ، عبد الرحمن الحضرمي ، (ت٨٠٨هـ)
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، راجعه: سهيل زكار، دار الفكر ، ط١، بيروت ، ١٩٨٨م

الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التيمي (ت٦٠٦هـ)
- التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ٢٠٠٠م .

الراغب الاصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، (ت٥٠٣هـ)

- معجم مفردات ألفاظ القران ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٨

الزهري ، الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب (ت١٢٤هـ)

- المغازي النبوية ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر- دمشق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت٢٣٠هـ)

- الطبقات الكبرى ، تحقيق: إحسان عباس ، ط١ ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٨م .

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد ، (ت٥٨١هـ)

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي-بيروت ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

الشامي ، الإمام محمد بن يوسف الصالحي (ت٩٤٢هـ)

- سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد ، تحقيق: الشيخ عادل احمد والشيخ علي محمد معوض ، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ،١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

الطبري ،محمد بن جرير (ت٣١٠ه)

- جامع البيان في تأويل القران ، تحقيق: محمود واحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – مصر ، ١٩٦٠م .

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عمر ألنميري القرطبي(ت٤٦٣هـ)
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ط١، دار الجيل- بيروت-١٤١٢هـ .

العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد (ت٨٥٥هـ)
- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة المنيرية -بيروت، بلا. ت .

الفيومي ، احمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ)
- المصباح المنير ، اعتنى به عزة زينهم عبد الواحد ، ط١ ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ،د.ت .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ،(ت٧٧٤هـ)
- البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مكتبة المعارف-بيروت ، (د-ت) .

الكلاعي ، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت٦٣٤هـ)
- الإكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق : د. محمد كمال الدين عز الدين علي ، ط١، عالم الكتب - بيروت ، ١٤١٧ هـ

ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت٧١١هـ)
- لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار صادر- بيروت ، ط١ ،١٩٩٦م

ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٨هـ)
- السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ، وافسيت منير -بغداد ، ١٩٨٦م .

الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)

- المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب- بيروت ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت٦٢٦هـ)

- معجم البلدان ، دار الفكر ، لبنان-بيروت ، (د- ت) .

المراجع

آل يحيى ، سيف الدين سعيد ،

- الحركات العسكرية للرسول الأعظم في كفتي ميزان ، الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، ١٩٨٣م .

خطاب ، محمود شيت

- العسكرية العربية الإسلامية ، عقيدة وتاريخ، وقادة وتراث ، ولغة وسلاحاً ، نشر ، كتاب الأمة عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – قطر، ١٤٠٣هـ

سيد قطب

- في ظلال القران دار الشروق ، القاهرة ، ط٣٤ ، ٢٠٠٤م .

العمري ، أكرم ضياء

- السيرة النبوية الصحيحة ، ط١ ، مكتبة المعارف- المدينة المنورة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.